بعد الكذبة الصغيرة



مدارج



كان سليم وصديقاه فارس وماجد أولادا في السابعة من عمرهم. وكان معلمهم نبيل رجلا في الخامسة والثلاثين، وعامل المدرسة رجلا في الأربعين. وكان زملاؤهم في الفصل أولادا في السابعة كذلك.

كَانَ سَلِيمٌ يَحْمِلُ وَرَقَةَ مُلَاحَظَاتٍ عَنْ نَبْتَةِ الْفُولِ الَّتِي زَرَعَهَا فِي الْفَصْلِ. فِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَقِيسُ سَاقَهَا، وَيَرْسُمُ وَرَقَةً خَضْرَاءَ جَدِيدَةً.

فِي صَبَاحِ الْعَرْضِ، فَتَحَ مِلَفَّهُ. وَجَدَ الرُّسُومَ، وَالْمِسْطَرَةَ، وَكِيسَ الْبُذُورِ الْفَارِغَ، وَلَمْ يَجِدْ وَرَقَةَ الْمُلَاحَظَاتِ.

تَذَكَّرَ أَنَّهُ أَخَذَهَا أَمْسِ لِيُكْمِلَ الْجَدْوَلَ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي جَيْبِ مِعْطَفِهِ. نَظَرَ إِلَى الْجَيْبِ؛ كَانَ فَارِغًا.



سَأَلَ الْمُعَلِّمُ نَبِيلُ: «أَيْنَ وَرَقَتُكَ يَا سَلِيمُ؟»

شَعَرَ سَلِيمُ بِسُخُونَة في وَجْهِه. كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: «لَا أَعْرِفُ، لَقَدْ أَضَعْتُهَا». لَكِنَّ كَلِمَةً أَسْرَعَ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ:

«دَخَلَ الْهَوَاءُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَلَعَلَّ الْوَرَقَةَ طَارَتْ».

أَغْلَقَ الْمُعَلِّمُ النَّافِذَةَ. بَحَثَ فَارِسُ تَحْتَ الْخِزَانَةِ، وَرَفَعَ مَاجِدُ سَلَّةَ الْأَوْرَاقِ، وَنَظَرَ الْمُعَلِّمُ خَلْفَ أَصُصِ النَّبَاتِ.



كُلَّمَا اتَّسَعَ الْبَحْثُ، ضَاقَ صَدْرُ سَلِيم. لَمْ تَعُد الْمَسْأَلَةُ وَرَقَةً ضَائِعَةً فَقَطْ؛ صَارَ أَصْدِقَاؤُهُ يَبْحَثُونَ عَنْ شَيْءٍ يَعْرِفُ أَنَّ الرِّيحَ لَمْ تَحْمِلْهُ.

عِنْدَ بَدْءِ الْفُسْحَةِ، بَقِيَ سَلِيمٌ فِي مَكَانِه. رَأَى فَارِسًا يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْ كُمِّه بَعْدَ أَنْ فَتَّشَ تَحْتَ الرَّفِّ. وَسَمِعَ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ: «سَأَسْأَلُ عَامِلَ الْمَدْرَسَةِ إِنْ كَانَ قَدْ وَجَدَ وَرَقَةً فِي الْمَمَرِّ».

تَمَنَّى سَلِيمٌ لَوْ يَعُودُ إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي سَأَلَهُ فِيهَا مُعَلِّمُهُ. لَكِنَّ اللَّحْظَةَ مَضَتْ.

ثُمَّ تَذَكَّرَ مَعْنًى تَعَلَّمَهُ: بَعْدَ الْخَطَإِ لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ: «هَلِ انْتَهَيْتُ؟» بَلْ يَسْأَلُ: «كَيْفَ أَرْجِعُ؟» رَحْمَةُ اللَّهِ لَا تَجْعَلُ الْكَذِبَ صَوَابًا، وَلَا تُسْقِطُ حَقَّ مَنْ تَعِبَ؛ بَلْ تَفْتَحُ لَهُ بَابَ التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ.



مَشَى إِلَى الْمُعَلِّمِ، وَكَانَتْ خُطُوَاتُهُ بَطِيئَةً.

قَالَ: «يَا مُعَلِّمِي، أَنَا لَمْ أَرَ الْوَرَقَةَ تَطِيرُ. قُلْتُ ذَلِكَ لِأُخْفِيَ أَنِّي أَضَعْتُهَا. أَنَا آسِفٌ».

سَكَتَ الْمُعَلِّمُ لَحْظَةً، ثُمَّ قَالَ: «شُكْرًا لِأَنَّكَ صَدَقْتَ الْآنَ. لَا تَجْعَلِ الْعُذْرَ أَطْوَلَ مِنَ الْخَطَإِ. مَا الَّذِي تَسْتَطِيعُ إِصْلَاحَهُ؟»

نَظَرَ سَلِيمٌ إِلَى الْفَصْلِ. قَالَ: «أَعْتَذِرُ إِلَى مَنْ بَحَثَ. وَأُخْبِرُ عَامِلَ الْمَدْرَسَةِ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَى الْبَحْثِ. ثُمَّ أُعِيدُ كِتَابَةَ الْجَدْوَلِ مِنْ دَفْتَرِي».



جَمَعَ الْمُعَلِّمُ الطُّلَّابَ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ. قَالَ سَلِيمٌ: «أَضَعْتُ وَرَقَتِي، وَقُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ حَمَلَتْهَا. هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ. أَنَا آسِفٌ لِأَنَّكُمْ بَحَثْتُمْ بِسَبَبِ كَلَامِي».

لَمْ تَخْتَفِ الْكَذْبَةُ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَلَمْ يَشْعُرْ سَلِيمٌ بِالرَّاحَةِ كُلِّهَا فَوْرًا. وَلَكِنَّ الْبَحْثَ تَوَقَّفَ، وَعَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى اسْمِهِ الصَّحِيحِ.



فِي الْفُسْحَةِ، جَلَسَ سَلِيمٌ قُرْبَ نَبْتَةِ الْفُولِ. فَتَحَ دَفْتَرَهُ، وَبَدَأَ يَنْقُلُ الْقِيَاسَاتِ. جَلَسَ فَارِسُ بِجَانِبِهِ، وَقَالَ: «سَأَقْرَأُ لَكَ الْأَرْقَامَ، وَأَنْتَ تَكْتُبُهَا».

رَفَعَ سَلِيمٌ رَأْسَهُ وَقَالَ: «وَأَنَا سَأُنَظِّفُ الرَّفَّ الَّذِي تَغَبَّرَ ثَوْبُكَ تَحْتَهُ».

فِي آخِرِ الْحِصَّةِ، لَمْ تَكُنِ الْوَرَقَةُ الْجَدِيدَةُ بِجَمَالِ الْأُولَى؛ كَانَ فِيهَا خَطٌّ مَائِلٌ وَبُقْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ التُّرَابِ. لَكِنَّ كُلَّ رَقْمٍ فِيهَا كَانَ صَادِقًا.

وَحِينَ وَضَعَهَا سَلِيمٌ إِلَى جَانِبِ النَّبْتَةِ، رَأَى سَاقَهَا الصَّغِيرَةَ تَمِيلُ نَحْوَ الضَّوْءِ. فَهِمَ أَنَّ الرُّجُوعَ لَا يُعِيدُ الْأَمْسَ، وَلَكِنَّهُ يُغَيِّرُ الْخُطْوَةَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ الْآنَ.

مصدر الإلهام وحدوده

هذه قصة معاصرة متخيلة. سليم وفارس وماجد والمعلم نبيل وعامل المدرسة وأعمارهم وحوارهم وحادثة الورقة والنبتة من الخيال القصصي، وليست أخبارا تاريخية من المصدر.

مصدر المعاني: مدارج، وما قدروا الله حق قدره، المجلد الأول من حسن الظن بالله. اعتمدنا النسخة الأصلية المستعادة ذات 117 صفحة، والصفحات الفعلية والمطبوعة 24 و32 و34، بعد معاينة صورها. تتناول الصدق والرجوع بعد الخطأ والتوبة والإصلاح وحفظ حقوق الآخرين، دون ضمان زوال جميع العواقب أو الحكم بقبول عمل شخص بعينه. لا تنقل القصة آية أو حديثا بلفظهما.

هذه الإحالات تخص النسخة الأصلية المذكورة وحدها. النسخة العامة الحالية ذات 182 صفحة مختلفة؛ لا تنطبق عليها أرقام الصفحات أعلاه.

Original PDF SHA256: 170ff3c4dbdf1ba01d296e22f6349a7ab7b88c88ebf41dc9d912120429459993

https://drive.google.com/file/d/1wOTeqwNm2qd53CzBYRgDM2-II4LN9a5w/view

https://madarej.org/books/husn-al-zann-volume-1/